بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله الذى وعد من أطاعه بالعز والغلبة «ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرضى يرثها عبادى الصالحون، وتوعد من عصاه بالضنك والذلة.. «ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى».

والصلاة والسلام على رحمة الله للعالمين الرسول القوى الأمين، الرحيم بين المؤمنين، الشديد على الكافرين وعلى آله وصحبه ومن تابعه فواد من وادّه وحاد من حادّه إلى يوم الدين وبعد..

صدق من لا ينطق عن الهوى.. «توشك أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا. إنكم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، و لينزعن الله مهابتكم من قلوب أعدائكم وليلقين فى قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت».

البوسنة.. كوسوفا.. فلسطين.. كشمير.. شينجيا نج.. الشيشان،فى كل زاوية من الأرض أرض للإسلام مستباحة ومسلمون لا ظهر لهم ولا خلافة.. والمسلمون فى بلادهم ضربهم الوهن وقعدت بهم العزائم وغُيب عنهم الإسلام فغابوا لا ينصرون ولا ينتصرون، ولا يقولون ولا يفعلون، ولا يرضون ولا يغضبون، ويُدلس عليهم فلا يعرفون الصديق من الخؤون.

أزمة كوسوفا: الصرب طردوا الألبان وهجروهم من كوسوفا وحلف شمال الأطلنطى أعادهم!

هكذا تختزل كوسوفا.. وهكذا تختزل كل بقعة مستباحة من بقاع الإسلام. فإن بلاء المسلمين الأكبر فى هذا الزمان وما نكبوا به هو أن أصبح قيادهم إلى من يحملون أسماءهم وليسوا منهم، ويتكلمون بلسانهم ويفكرون بعقول وقلوب أعداءهم. وهؤلاء هم من لا توجد قضية للإسلام إلا زيفوها وكانوا فى صف أعداءها.

تمر المذبحة من بدايتها إلى نهايتها فلا يتذكرون الأقلام والورق إلا حين يظهر الغرب (الناتو) ليسبحوا بحمده ويشنفوا آذان شعوبهم المنكوبة بهم بشهامته ومروءته وإنسانيته ثم يعطونهم خطباً في ضرورة اتباع حضارته ومدنيته. فإذا ما تساءلت: وأين كانت هذه الإنسانية من البوسنة الشهيدة؟ بل وأين هي من فلسطين المستباحة من اليهود عملاء الغرب ليل نهار لم تجد إلا استغباءً واستحماراً!

وصنف آخر..

أولئك الذين يقفون أمام هول المشهد وانهار دماء المسلمين المتفجرة فلا يرون فيه إلا أن الناتو يضرب يوغسلافيا البريئة التي تقوم بحماية سيادتها وتأديب الخارجين على حكومتها فانتهك الناتو بذلك الشرعية الدولية والقانون الدولي.

فإذا ما تلفت حولك رأيت هؤلاء الذين يذرفون الدموع على الشرعية الدولية والقانون الدولي في كوسوفا هم هم الذين يهاجمون ويلقون بالمسئولية على «الانفصاليين» و«المتسللين» في كشمير رغم أن الشرعية الدولية والقانون الدولي معهم وقرارات الأمم المتحدة في صفهم! وتراهم يناصرون الهندوس عبَّاد البقر وهم الذين يخرقون القانون الدولي ويدوسون الشرعية الدولية التي يتباكون عليها!

فإذا كانت الشرعية الدولية على رقاب المسلمين فمرحباً بها وأهلاً وإذا كانت لهم - ومادامت لهم فلن تنفذ - فلا أهلاً بها ولا سهلاً!

وصنف ثالث تفتح أمامه الصفحات «ليبرطع» فيها كيف يشاء فلا تجود عينه على شلالات دماء المسلمين المهدرة بدمعة ولا قلمه من الحبر بقطرة. وكأن من يذبحون ويعذبون ويطردون قطيع من الكلاب ولو كانوا قطيعاً من الكلاب لما تجاهلهم ولطلب لهم الرفق والرحمة!

وهؤلاء وأولئك هم كتابنا وصانعو عقولنا وقائدو فكرنا ومنورونا إلا من رحم الله وعصم.. وقليل ما هم.

وتضيع كل قضايا المسلمين أمام أعين المسلمين وتنتهي أراضيهم وشعوبهم إلى عبارات جوفاء لا معنى لها تسود بها الصحائف لتزيف العقول.

ولا يعرف المسلمون من فعل بهم ما فعل، ولماذا فعل بهم ما فعل ولا كيف يتخذون

العدة لما يدبر بليل ليُفعل بمن بقى مثل ما فُعل بمن ذهب، ولا يفهمون لم ناصرهم من ادعى مناصرتهم وأكانت مناصرته لهم أم له وعليهم وعدو هو فى الحقيقة أم صديق.

ومن أسف أن كثيراً ممن يكتب عن كوسوفا وأمثالها من المخلصين الذين يؤرقهم ما يحدث للمسلمين يؤثرون الصراخ على الفهم: قتلوا المسلمين.. إنهم يقتلون المسلمين، ذبحوا المسلمين.. إنهم يذبحون المسلمين، اغتصبوا المسلمات.. إنهم يغتصبون المسلمات وتتراص الجمل والكلمات ثم تعاد وتكرر عشرات المرات وهم يظنون أنهم بصراخهم يحسنون صنعاً.

وبهذا النهج يكون أعداؤنا قد كسبونا مرتين:

مرة لأن هذه الإثارة الوقتية هى ضجة وضجيج، ونحن مهما فعلنا لن نهزمهم فى الضجيج والإثارة لأنهم يملكون من وسائلها أضعاف أضعاف ما نملكه، ومتى شاءوا وأين شاءوا سيغلب ضجيجهم ضجيجنا وإثارتهم إثارتنا. ومرة لأن الإثارة الآنية تلهى عن الحقيقة المستقرة الراسخة.. وفى كل قضية للإسلام وللمسلمين فإن مستندهم هو الحقيقة ومستند أعداءهم الضجيج والإثارة التى تضيع فى ثناياها الحقيقة ويتساوى فى تغطيتها على الحقائق الجلاد والضحية.

وكسبونا مرة ثالثة مكسباً عميقاً لأنهم أخرجونا من روح حضارتنا: الفهم والعقل والتدبر العميق للأمور لمعرفة أصولها وفروعها وكيف نشأت وإلى أين تذهب وما يترتب عليها وما ينبغى اتخاذه إزاءها فى روية وسكينة وثبات إلى روح حضارتهم: الضجيج والتسطيح والإثارة لمجرد الإثارة والاستهلاك السريع لكل شىء: الماديات والوجبات والنظريات والأفكار والأخبار والمذابح والشعوب.

إذاً: نحن نفتقد من يرى الأخبار بعينى مسلم ويقرأها بعقل مسلم: لا يكون بارداً متبلد الحس إزاء ما يخص الإسلام والمسلمين ولا ينحاز لصف أعدائهم ولا يرى بعيونهم ولا يتكلم بلسانهم ولا يسود الصحائف فى مدحهم والتدليس على الناس بهم.

وأيضاً لا يصرخ فى غير طائل ولا يركب موجة الإثارة التى تصاحب الحدث فى غير نفع وفى غير أوان.

ففى غير ساعة الزحف وإعداد العدة له لا فائدة من الصراخ والعويل.. والفهم أولى

لأن زيادة الفهم تزيده عمقاً وتزيده رسوخاً وتزيده بقاء، وأما زيادة الإثارة فى غير أوانها فليس من ورائها إلا فقدان الإحساس والتبلد من كثرة البلايا وتتابع المآسى واعتيادها.

بإيجاز: نحن نفتقد الكاتب المسلم الذى يرى الأخبار ويزن الأقوال ويحلل الأفعال بمعتصم من الإسلام فيكون ضمير أمته وبصيرتها، إذ بالإسلام وحده لن يُضلَل ولن يُضِل، وبه وحده يمكنه أن يَفهم حقيقة ما يحدث ويُفهم، ويُعصم عقله من عواصف التزييف والتلفيق التى تهب من كل اتجاه وفى كل اتجاه ويَعصم.

هذه محاولة لقراءة أزمة كوسوفا والتاريخ لها الخبر فيها هو البطل، والأخبار هى الأخبار والأنباء هى الأنباء، ولكنها الأخبار والأنباء تراها عينا مسلم ويقرأها عقل مسلم..

والحمد لله أولاً وآخراً

د. بهاء أحمد الأمير